

تطور المنتجات الجلدية في الهقار مجموعة متحف البارود عينة للدراسة

The Development of Leather Products in the Hoggar - The Collection at the Bardo Museum as a Case Study-

عبدالقادر قطاف

ملحقة قصر الشلالة بتيارت (أستاذ مساعد)، geudaka@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/07/14

تاريخ القبول: 2022/06/01

تاريخ الاستلام: 2021/08/15

المخلص:

تعتبر صناعة الجلود في طوارق الهقار راقية للغاية ، حيث تمكنوا من تطوير هذه الصناعة ، لذا كانت الجلود المختلفة مدبوغة جيدا، وصنعت منها العديد من الحرف، مثل الخيام وملحقاتها من الحقائب والحبال والوسائد ، وهناك أيضا الحرف الأخرى التي تتميز بدقة تقنياتها وأدواتها وزخارفها، مثل السروج والنعال والمحافظ والحقائب خاصة حرفة صنع التروس التي تكشف أسرار الصناعة لدي الطوارق المحترفين الماهرين، ترتبط أنشطة الدباغة وصناعة الجلود بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للطوارق ، والذي يبرز فئات ومستويات المجتمع ، وخاصة المجموعات المحاربة "الأيموهاج" كمنتج الطبول والتروس التي يتم تنفيذها برسوم وتزيينات وظيفية وسحرية من قبل الصناع.

الكلمات المفتاحية: الجلد ، الدباغة ، الصناعة، المصنوعات الجلدية، متحف البارود .

Abstract:

Leather industry in the Touareg of Hoggar is very sophisticated, as they were able to develop this workmanship; therefore, the various leathers were well-tanned and many crafts were made out of them, like tents and their accessories such as bags, ropes and pillows, there are also other crafts that are distinguished by the accuracy of their techniques, tools and decorations, such as saddles slippers, purses and bags, especially the craft of making gears that reveals the secrets of the artisanship of the Touaregs' skilled professionals. The activities of tanning and leather-making are linked to the economic and social history of the Touareg, which highlights the classes and levels of the society, especially the warrior groups 'El-Imohad' as a product of drums and gears that are implemented with functional and magical drawings and decorations by the craftsmen.

Keywords: Leather, Tannig, Craft, Manufacture , Bardo Museum.

1. مقدمة:

سكن الصحراء منذ أقدم الأزمنة عدة أقوام بدائيين يعرفون "الأسباتن" يسكنون بأعالي الجبال ثم عقب ذلك مجئ قبائل (صنهاجة) وهم بدو رعاة يقتاتون من اللبن، وعرفوا بالملثمين للباسهم اللثام، ورغم إسلام الطوارق لكن حافظوا على لغتهم "التماشق" ونظامهم الاجتماعي القائم على السادة المحاربين (الأيموهاج) والصناع (الأنبيضن) والعبيد (إيكلان) ، وكان مجتمع البدو الرحل طوارق الهقار يعتمدون على نظام الأغارة والرعي والتجارة وكذلك على الصناعات خاصة الجلدية منها في تلبية حاجياتهم حيث كانت الجلود المختلفة يتم دباغتها ومعالجتها وتلوينها بمواد محلية ومعنوية وفرت بإقليم الهقار من نباتات ومعادن كالمح والقرظ ، ثم تصنع منها الأدوات المختلفة كالخيم ولوازمها وما ميز هذه الأدوات والأواني المصنعة من الجلد خفة الوزن وسهولة النقل مما ساعد على تكيف البدو مع بيئتهم الفقيرة القاسية مما مكن الهقار من الترحال.

وكل من يتعاطى الحرف عند الطوارق يسمى الأنبيضن ولهم مهارات عالية في تصنيع الرواحل والسروج وأدوات الحرب وأغدة هذه السيوف وأغلبهم يتركزون بالسودان، وكان إدماج الحرفيين في الهقار له دور أساسي بالمنطقة من خلال تصنيع وتوزيع الإنتاج، والصناعات الجلدية لطوارق الهقار قمنا بدراستها من الجهة الأثرية التي تُعنى بنوعية الجلد وزخرفته ، لمعرفة الطبقات والفئات ودرجاتها الاجتماعية التي تظهر من خلال نوعية هذا المنتج، وأرفقنا ذلك بجملة من الأشكال والصور وبأخذ نماذج من التحف الجلدية بالمتحف الوطني البارود .
والأشكالية هل هذه الصناعات الجلدية خاصة الطبل والترس المحكمة صناعة وفنا هي أهم ما يميز شعوب الطوارق بثقافتها وتراثها عن بقية الشعوب؟.

ويهدف المقال الى تبين ملامح هذا الفن الصحراوي وتبين حضارة الطوارق من خلال صنائعهم التي لا تزال في متحف البارود .

2. الصناعة الجلدية عند الطوارق:

1.1 تاريخ الصناعة الجلدية عند الطوارق: من بين هذه الصناعات الأصيلة لمجموعات الطوارق نجد العمل على الجلد، وعرف هذا النشاط في العصور القديمة حيث إستعمل الليبيون أسلاف الطوارق الجلد كلباس وخيم ومعدات في الحروب كالأحزمة والدروع، وقد ذكر هيرودت الجلود بوصفها ملابس يرتديها أهل إفريقيا وبشكل خاص الليبيين، وفي الغالب هي جلود الماعز تم نقفها وتزيينها بخيوط متدلّية وكثيرا ما نرى هذه الجلود ملونة باللون

الأحمر(جرمين،2000: 102) في العهد الوسيط أسهم تأثير العرب الفاتحين على الصحراء قاطبة وطوروا بعض الصناعات كالسروج ومثل هاته السروج ومعدات التهجين الموجودة عند الطوارق وإسلوب تزيينها يبدو بأنه راجع لمحاكاة سكان المنطقة لذوق الفاتحين كما شمل التأثيرالعربي إستعمال البدو لخيم وبيوت من الوبر والصوف، لكن يُعد البدو الرحل بالهقار الأقل تأثراً ومتميزين بصنائعهم من الجلد القشع ويبدو أن العرب كانوا يجهلون صناعتها، وهناك من يرى بأنها ميراث من المهاجرين العرب؟ (مارسيه ، 1991: 238).

2.2-مقومات الصناعة الجلدية عند الطوارق:

أ-المواد الخام:الجلود

تتوعت المادة الخام للجلود عند الطوارق إما بالرعي مثل حيوانات الضأن والماعزوالكباش الدمانية، والجمال، والغزلان والفنك والضباع، وهي تنتشر في كثير من الهضاب ومجاري الأودية بالهقار وتؤكد المصادر ذلك، فأكثر ما تتواجد بالصحراء الكبرى هي دواب الأفناك والظباء وخاصة ما يُسمى بحيوان اللط ، ويشير إليه البكري بأنه "دابة دون البقر لها قرون حادة لذكرائها كبر"، وهذا اللط هو حيوان المها الذي يعتبر من أسرة الظباء (ولد الحسين ، 2007 : 301) ولقد راجت تجارة الجلود الخام والمذبوغة، وسمح موقع الأهقار بجلب أنواع من المواد الخام من بلاد السودان خاصة جلود الثور، وكانت هناك معايير لشراء الجلود بها تتخفف وتزاد قيمتها(أنظر التعليق رقم2).

ب-مواد الدباغة عند الطوارق:

أ-المواد النباتية : توجد شجرة كبيرة تدبغ بقشورها الجلود وتسمى بالقرظ وشجرة القرظ هي السنط وتسمى الشوكة وورقها هوالقرظ بالحقيقة ،وهي أجود ما يدبغ بها الجلود وينبت في الصحارى والقيعان ويستخرج نضحه وماؤه بالدق والعصر ويجعل في أواني مرحرحة تلقاء الشمس حتى يغلظ ، ثم يقرص وإما يؤخذ القرظ فيطحن ويعجن بماء الصمغ ثم يقرص ويختم ويجفف (البغدادى،1286ه،ص15) ويسمى الطوارق القرظ "تمات" ويدبغ الطوارق الجلود بعروق الجداري "أثيل وتاباركت" وهو نبات ينمو في الأراضي الحجرية ومجاري الأودية (محمد سعيدالقشاط،1994: 60) .

وهذه النبتة الجداري تسمى عند المغاربة بالعذبة، وإسم الشجرة العلمي (tamarix articulata) وهي حب صغير يشبه الذبق إلا أنه أملس منه تنتج شجرالأثل المسماة بالعربية التلاي وبالبربرية تكاوت، وذكره البكري بإسم الطرفاء وتكاوت وأنه يستعملونه بالدبغ، بعد أن يطحن في الرحي الحجرية حتى يصير رقيقا مثل الدقيق ثم يطلى بدقيقها الجلد وتلين بها الجلد حتى لا تتكسر إذا يبس الجلد (الأدريسي حمادي،1970: 351).

ب- **المواد المعدنية:** ويستعمل الطوارق مادة الشب في الدباغة يسمونه محليا أزريف يجمعه طوارق الهقار في واد إيمدر في طريقهم لجلب التمر من عين صالح، ويستعمل كمسحوق بخلطه مع الملح للدباغة : (Mounier,1942 : 136).

3-دباغة الجلود:تعتبر الدباغة فرعا هاما من الصناعة الجلدية ،وتتم معالجة الجلود والاستفادة منها بعد دباغتها، والدباغة حرفة تقوم على أساس إصلاح جلود الحيوانات وتطهيرها وتبديل رائحتها لكي تكون صالحة للاستفادة منها، ومهنة الصناعة ودبغ الجلود لم يزوالها إلا فئات معينة لأحتقارها، وهي من المهن المستهجنة لذا فالشرفاء ونبلاء الطوارق ممن كانت لهم حظوة بالمجتمع فإنهم تأنفوا عن هذه الأعمال واعتبروها من عمل الغلمان والعييد(أنظر التعليق رقم2) ويعتبر الجلد المراكشي المدبوغ أشهر ما يُصنع في المغرب والصحراء وهو كل أديم مليح غليظ متخذ من جلود الخراف وجلود الماعز المدبوجة تستخدم لجعل أحذية كبيرة للفرسان وأعماد السكاكين، حافظات السيوف وأحزمة الكتف، والعديد من هذه الجلود مصبوجة عادة بالأحمر أو الأصفر، وكان الدباغون لهم طرق في إستجادته وتليينه : (Gast ,1994 ,p 8)

3.1-تقنيات دباغة الجلود:نشير أنه يوجد هناك نوعين من الجلد الرقيق من الغنم الماعزونوع آخر خشن من الأبقار والإبل وتتمثل مراحل الدباغة في التنظيف وإزالة الشعر ثم تتلوها الضرب والدق والفرك وهي تساعدان في تحضير لجلود وإعدادها للدباغة.

عملية سلخ الجلود : يجب على من يسلخ الجلود أن يكون ذا يد ماهرة .

عملية إزالة الشعر: لنزع الشعر استخدموا مواد مساعدة تعين على نتف الصوف والشعر من الجلد بسهولة دون تضرر بالجلد وأستعملوا مواد لا تثبت فيها مثل الرمل والرماد والتمار وهوطحين من الشعير والحجر الجيري (الكلس)الذي تطلّى به أدمت الجلود وهي وجوهها التي تلي اللحم بالكلس وتعمل ثم تمرط ولا يفعل بجلود البقر لأن الكلس وإن مرطها فهو يُفسدها، وإن كان بقي الشعر في بشرة الجلد يزيله الدباغ بسكين أو بنشفة وهو حجر خشن مثقب لنزع هذه الشوائب (الدينوري أبي حنيفة،1974: 108)

عملية دبغ الجلود: وإذا فرغ من ذلك كله وتيسر الجلد للدبغ ألقى في الدباغ (شجر القرظ) داخل أنية لعدة أيام أكثر من أسبوعين ويمعس الجلد جيدا بالذّلك حتى إذا تمت دباغته ونضج الجلد في الدباغ وصار أديما أخرجوه، وعلامة نضجه في الدباغ بأن يستحيل لونه من جلد إلى لون الدباغ من الأصفرار، ويُقال له حينئذ أديم وآدمة وأدم وقد ، أما إذا كان عضلا غير لين فهو لم ينضج دبغا (التبجيري ،2004: 53).

والجلد يخرج من القرظ أبيض وليس يُفعل به أكثر من بسطه ليصبيه ندى الليل وشمس النهار فإن لم يكن الليل ندى نفخ عليه الماء فلا يلبث أن يحمر بما فيه من قوة القرظ ، ولزيادة سماكة الجلد فإنه يضاف إليه التمرويرش بالملح حتى يصير رقيقاً أي يصبح رقيقاً بعد ثخونته، وبهذا يصير الجلد صلماً لا يخاف عليه فيما بعد من الخرق والتقطيع ليصبح جاهزاً وسهلاً للاستعمال(حمادي،1970: 358) ، أما جلود البقر والجمال وغيرها تتقع في حوض مائي ثم تضرب بعصا غليظة لتسهيل عملية الدباغة فتبسط على الأرض ويجعل فيها الدباغ (الملح والشب) الذي وقع خلطه بالماء ويظل كذلك حتى يرشح منها (حسن محمد ،1999: 485).

4-صباغة الجلد وتلوينها:

وكل مالم يُدبغ بالقرظ فإنما حُمرته بالأصباغ كالفوة وأما اللون الأسود فيُحصل عليه تقوم بجمع نواة التمر وصدأ الحديد ثم يضاف إليه الماء كما يستعملون مادة الطملة التي تميل إلى اللون رمادي وذلك بعد وضعها في الماء وتميرها فوق الجلد(Foucauld ,1951 ,p30) وأما اللون الأخضر يُسميه الطوارق بالسمنتو وزنجار بالعربية ويتم الحصول عليه بحك النحاس الأحمر في الحليب مع كمية قليلة من الملح النشادري (Girconcourt ,1914 , p53)

5-الصناعة:

كانت تلك الجلود بعد دباغتها وتجهيزها تدخل في مختلف الصناعات الجلدية التي يحتاج إليها الطوارق وعرفت مهنة العمل على الجلد بإسم "الخرّازة"، وتواجدت الصناعات المتعددة لدى الصناع الطوارق المعلمين مثل(الخشب والمعادن)إلا أن خرازة الجلد عند طوارق الأهقار كانت أبرزها ولها ملامح وتقاليد تُميزها، وبرزت المرأة الطارقية كصانعة ماهرة في الصناعات الجلدية فكانت هي من تسلخ الجلد وتدبغه وتتمقه، وتصنع منه الخيام والحلي الجلدية والصنادل والحقائب(مصطفى محمود،1977: 66) ، ولقد ارتبطت الصناعة الجلدية بنوعية كل جلد وشكله وحجمه فجلد الماعز كان يُعد المادة الرئيسية في الصناعة الجلدية، ويبدو أن هذا الضرب من الجلود له أهمية لمئاته وطراوته وإستعملوه في شتى صنائعهم من آلات إيقاع الموسيقية، كما إستعملت جلد الضأن لتبطين المصنوعات الجلدية كالأحذية، فضلا عن ذلك إستعمل الصناع جلود الأبقار والجمال بأقل درجة لأن جلده أكثر تجعداً، وإستعملوا قطع منه في صناعة أسافل النعال ولتغليف أدوات النقل المحدبة مثل قتب الحمار "أروكو" ويستعملون الجلد وهو رخو (Gast,1994, p 9)

5.1- مراحل الصناعة وأدواتها: يعمل الصانع على قص الجلد المدبوغ ونقشه وتغريته وخياطته وصبغه وطلاؤه كما يمكن الجمع بينه وبين مواد أخرى كالقماش والخشب، مع إستخدام تقنيات كالحياكة وتتألف عملية صنع الجلود من أربع خطوات: التصميم -القص والتجميع-التلوين-التشطيب(عزة عبدالخالق، 2012: 134) . ويستعين الصانع في عمله بالأدوات التالية:(أنظر الشكل 1).

المحط: وهي خشبة يصقل بها الأديم(الثعالبي، 2002: 204) والمخراز: أداة لها سن حادة ومقبض خشب وتخاط به جميع الأدوات الجلدية به بعد أن يرققون جلود المدبوغة إلى شرائط والصانع الخارز يُسحي باطن الجلود ويقشره ويدهنه ثم يخرز فتسهل(إبن سيده، 1971: 502) .

مقص الجلد : كبير وحاد يستخدم لقص الجلود وتشكيلها وكذلك لقطع سيور الجلد وخيوط الزخرفة المدقة: يتم الدق على الجلد فوق حجر الخرازة سواء لتطريته وتليينه أو تركيب طرائق الجلد بعضه فوق بعض . (Girconcourt , 1914, والخاتم وهي آلة فيها رسومات الصغيرة عن طريق خطوط مستقيمة أو خطوط. p52).

5.2- الأنتاج الجلدي:

ينقسم الأنتاج الجلدي للطوارق على قسمين منتج عائلي تصنعه نساء البدو الرحل بأنفسهم مثل الأدوات الخاصة كالقرب والأكياس والدلاء، ومنتج آخر تتصف بدقة تقنياتها وأدواتها وإرتفاع قيمة منتوجاتها ولا يصنعها إلا الصناع الماهرين المعلمين .

أ- الأنتاج العائلي: وتتمثل في أدوات وظيفية تستعمل عند البدو الرحل ،حيث إستخدمت الجلود رئيسي في صناعة الأدوات اليومية لدى بدو الطوارق سواء في مساكنهم ولباسهم ونعالهم وأنية مائهم وطعامهم وأسلحتهم ورحال مطاياهم والحبال، وما ميز هذه الأدوات والأواني المصنعة من الجلد خفة الوزن وسهولة النقل مما ساعد على تكيف البدو مع بيئتهم الفقيرة القاسية ومن جملة منتوجات البدو الرحل :

الخيم ولوزامها: الطوارق لا يعيشون في المدن لأنهم ظواغن ورحالة لذا صنعوا خيما خفيفة أينما حلوا نصبوها، وكانت تصنع هذه الخيام عند الطوارق من جلود الماعز والموتون وأحيانا من جلود الغنم أوالعجول، وتبدأ عملية صناعة الخيمة بدباغة الجلد بخليط من النباتات ويجهز بصفة خاصة ويكون ناعم الملمس وذا لون يميل إلى الحمرة، وبعد إعداده يقطع إلى قطع متلائمة ثم تخاط كل قطعة بأخرى بعناية بخيط من الجلد نفسه، وعدد القطع الضرورية لصنع خيمة يتراوح بين 30 و150قطعة وتركب الخيمة على أعمدة عمودية أفقية من الخشب، والمخيم

يتكون من 6 خيم، أما خيم الأموكال فتحتوى على عدد يتراوح عادة من 15 و20 خيمة (إسماعيل العربي، 1982: 184).

وتتكون الخيمة من الأوعية الأتية: (الأشكال 2 و3).

القربة وهي وعاء الماء وتصنع من جلد الماعز لحفظ الماء فيها وأحسن القرب وأدومها المتخذة من جلد نكر الماعز وأما **الشكوة** وهي وعاء اللبن وتصنع من جلد الماعز بعد إزالة الشعر وتدبغ من الداخل والخارج بمادة السنط وتستعمل لحفظ الحليب وتحويله إلى اللبن بعد خضه، وإستخراج الزبدة منه بعد أن تعلق على ثلاثة مناصب تسمى الحمارة.

و**العكة** وهي وعاء السمن وعلى غرار دباغتها يتم دهنها وطلاءها بالرب وهو عصارة التمر (سعيدان، 2005: 137).

ويتكون أثاث الخيم من الأفرشة (النطع) والوسائد والأكياس والحقائب الجلدية المطرزة والمزركشة، ورغم أن العوامل الطارقية بالهقار لديهم نفس الخيم والأوعية إلا أن ما يختلف هو الحجم ونوعية تنفيذ المنتجات وزخرفتها من قبل الصانعة الصحراوية التي تعمل على إضفاء حلة زاهية على منتجاتها من الوسائد والحقائب، وعلى مداخل الخيم التي تزين بطوق مسنن أو ينفذ ويرقق بالسكين مباشرة على الجلد، وعموما كان هذا التزيين معتمدا على ثروة الأسرة فميسوري الحال هم من يأمرن بعمل الحافات والأشرطة الرقيقة المطرزة (bernus, 1984, p36)، كما عرف الطوارق تأهيل الجلود الخام لصناعة مقتنياتهم وآلاتهم التي أعانتهم في عدة جوانب إقتصادية ورعية مثل الحبال والأحواض، ويتم إصلاح هذه الجلود بالعمل المتتالي وتنعم الجلود اليابسة عن طريق الدرس وليه وضربه بحجارة وتسمى بالطارقة "outtaq". (Foucauld, 1920, p644).

ومن أهم أدوات الجلد الغير المدبوغ:

المعالق: وهي سيور مستطيلة مجدولة تحزم بها البضائع والسلع ، أوغرى متينة تتضفر بسيور جلدية تشد إليها مختلف الأكياس والأدوات ذلك لأن الجلد ما دام لنا تفعل منه ما يشاء الصانع حتى يشتد ويزداد قوة بعد جفافه. (Foucauld, 1951, p1632)

الدلاء: سطل جلدي لسحب الماء من الآبار يتخذ من جلد الماعز والنوع الكبير من الأبقار (غربا)، ويجعل للدلاء حبال الجبد وهي طويلة وتصنع بأن تقطع من جلد الثور وهي تحتاج إلى 6 سيور عراض (25 سم) حلزونية فتضفر وتقتل على أكثر من طاق وتدور على أغصان زيتون، وبعد قتلها تترك لتجف ثم تضرب بمطرقة كبيرة لتلينها أكثر وبعدها تدهن بالدهان (Mounier, 1942, p167)

ب- الأنتاج الصناعي: ولقد إختص بالصناعات عند قبائل الطوارق فئة تسمى بالأنيضن بالتمشاق والمعلمين بالعربية، وكانت هذه الفئة تحترف الصناعة اليدوية لجميع قبائل الطوارق وأساس صناعاتها هي توفير آلات الحربية للطوارق لأنه مجتمعه حربي، وهذه الفئة لا تنتمي إلى هذا المجتمع الطارقي من حيث البنية القبلية فهي لا تشكل قبائل أو جمعا بل تلتصقان بالقبيلة وتنتسب إليها عبر علاقات حمائية وزبونية إذ يقول عنهم النبلاء أنهم مُعلمينا(أركيبي، 2017 : 72) وهذه الطبقة من الحرفيين دخلوا الهقار 1850 في عهد أحمد البكري إبان غزوة قام بها فرسان الكيل غلا على كيل إفوغاس فسلبوا جماعة من الحرفيين ودخلوا في تركيبة مجتمع الهقار (السليمانى، 2007 : 200)، وقد كان لتثمين صنائعهم من قبل السادة الطوارق بمنحهم أجور عينية له دور بظهور الصناع بقدرة كبيرة في تصنيع الجلود وتثمين منتجاتها التي شملت جميع طبقات مجتمع الهقار من التروس الجيدة التي ضربت بها المثل في دقة الصنعة وتصنيع التناير الجلدية بحواشي، وصناعات تجهيز الأبل وتمثل في معدات الجمال والخيول من أكياس وفرش ولوازم الركوب (بوشارب، 1995 : 65).

ويمكن القول أن الأدوات الحرفية كانت تُعد من ضمن الملزمات التي تدفعها مجموعات الحرفيين لساداتها وكانت قبيلة "شام الناس" تدفع لساداتها طوارق الأيلوميدان خيما (hinker, 2005, p102).

11- مقومات الصناعة (العمل الجلدي):

وتتميز أغلب الأدوات الجلدية بأنها ذات جوانب وظيفية من خلال مئانتها وإحكام صنعها، ومن سمات العمل الجلدي أنه يتطلب من الصانع دراية بالمواد المستعملة لتتعمق المنتج وتمتینه والعمل اليدوي المتقن، ومن جهة أخرى توفير المواد التي تزين النحت والرسم وتجعله زاهيا (بوشارب، 1995 : 65)، ولا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من الإعجاب بالصانع الطارقي، وقد برز صانع بمقدرة كبيرة في الجانب الزخرفي والفني في عمله على هاته المنتوجات لاسيما السروج وملحقاتها من حقائب السفر "الجبيبة" التي تترد عليها عدة رسوم وتعلوها ألوان فاتحة قوية يسودها اللون الأخضر والأحمر وأشكال متعددة من الدائرة والزواية والمربع وأشكال تشبه الصليب ومعينات ومثلثات متناظرة عن سمت الحقيبة وأغلب هذه الرموز مستوحاة من الفن العربي أو الفن البربري السائد في الشمال (إسماعيل العربي، 1982 : 210).

وهناك تزيينات وظيفية وزخارف رمزية على الأدوات الجلدية لاسيما الأدوات الحربية مثل التروس التي يتميز بها المحاربون الطوارق، والتي تبين جانبا من أصالتهم .

ومن بين تلك الصنائع الجلدية التي تبرز فئات وطبقات المجتمع بالهقار وتباينه نذكر :

الترس :

درع دائري يتحصن به الطوارق في الحرب، وهم يتخذونها من جلود الوحوش بعد أن يُنطعونها في ألبان لمدة حتى تزداد قوة ومثانة وتظهر الدقة في إختيارهم اللين فالجلد يشرب اللبن وتصيره سميكا وغيرنافذ، ومن جهة أخرى تعلقها ترينات تُبين للباحثين أن هذه الزخارف متعلقة بالرمزية الخطية لتيفناغ فيحوى الدرع على صليب ودوائر ويحوى نتوءات خماسية ضد العين الشريرة(أنظر التعليق رقم 3) .

أدوات الركوب :

إبتكر الطوارق السروج وتنوعت أنماطها وإشتهرت فئة الأيموهاح بإمتلاك نوع يُسمى بالراحلة **تامرك** وتصنع من خشب وتغلف بالجلد الأخضر المطرز، ولها لوازم من اللجام والحزامة والسياط التي يقطعونها أربعة سيور من جلد الجمل الغير مدبوغ ثم يفتلونه ويلوونه ويتركونه حتى يببس فيقوم قياما كأنه عصا وتزينه شرشيف والسوط الطارقي يصل طوله إلى 80سم ويستمر صناعة السوط لثلاثة أيام، وكذلك تصنع مختلف الغزائر وحقائب لوضع الأمتعة مثل حقيبة الجبيرة الغالية الثمن لتتوزع زخرفتها وإرتبط كسبها بالسمعة والثروة لذا يقايضونها بجمل . (Mounier,1942, p167).

وكذلك يعلق على مؤخرة السرج غمد كبير "القروي" ليحمل فيه المسافر كل أدواته وتصنع من جلد خشن وتزين بجلود ماعز أي أن إزاره من الجلد المرقق من جلد الماعز الذي يلبس ظاهرا وخلته من جلد الثور يبطن به ، وهناك حمائل جلدية لشد الخنجر وهو نوع أصيل متعلق بطوارق الهقار، وهو وشاح على شكل صليب مخصص لزعماء العشائر والأرستقراطية يلبس لأيام الحرب لكن بقيت رمزيتها بحيث لا تزال القبائل المسالمة تلبسه (bisuelle,1988,p98)

النعال: الأسكافي الطارقي تفنن في صناعة أنواع من النعال منها البلغة وتبدأ صنع النعل من قطعة من الجلد غليظة كجلد الجمل ويشدها في الوسط بشراك "تتهرت" السير الجلدي الذي يغرز داخل النعل من خلاله يتم تثبيت أصبع القدم، ويطلق "أغتمين" على نوع أخرعالي الجودة يتكون نعله من طبقات مختلفة ومحبوبة من قبل الطوارق ، فلا يغوص في التربة الرملية الناعمة بل يتم نزعها بسرعة، وكانت تقدم كمهر للزواج لأنها غالية عند الطوارق ، وأما نعل إيمركادن وظيفي ويستعمله الطارقي للسير في الأراضي الصخرية الوعرة والجبال العالية كالأتكور، وهو مصنع من جلد نعل له شكل مثلث، ويتم صناعته من عدة طبقات من الجلد تتراوح من سبع طبقات إلى ثمانية (Mounier ,1942,p 158)

الطبول: تستعمل الطبول في الحرب وتنتشر أنواع من الطبول والآلات الموسيقية لاسيما نوع يعرف بالأمزاد .

اللباس الجلدي: لباس جلدي مقتصر على الفئات الدنيا وكانت لا يزال موجودا حتى قبيل دخول المستعمر وتلبس هذه الألبسة الأسبانتين بينما الأيموهاج فقد كانوا سابقين قرنا من الزمن إلى إستيراد ألبسة قطنية غينية (تيلوين، 2000، ص 103).

12- أهم الرموز ودلالاتها: تنوعت الرموز على الأدوات الجلدية من النقش والرسم والطبع والقشط والطبع كلها من فنون الزخرفة على الجلد عند الطوارق وهذه النقوش الموجودة قديمة إبتدعها فنان عصور ما قبل التاريخ برموز شطرنج ومثلث متساوي الأضلاع والدامة وسمح موقع الأهقار الرابط بين الشمال والجنوب مما يُفسر إلتقاء العناصر الزخرفية المغربية والسودانية، فمن الشمال أهم رمز كان منتشر على نطاق واسع عند الطوارق تصميم على شكل ثقب مفتاح بسيط وأصله في منطقة توات، وتُقل بفضل تلك القبائل التي نزلت سواء من القبائل البربرية والعربية لأن الحركات البربرية والهجرات من الشمال إلى الجنوب كانت موجودة (killian, 1934,p153)

ومن أهم الرموز الموجودة على المنتجات الطارقية: (أنظر الشكل رقم 05) المثلث: يشير للمرأة لأنها تمثل رمز الخصوبة، والصليب يتوج نهاية السرج لكي تمنع تيه وضلال سائق الجمل، ونار إبليس والخط المنكسر (زيق زاق) بينما قرص الشمس وجدت في بلاد الطوارق منذ عهود قديمة ويمكن أن تكون رمز لآثار عبادة الشمس وهي آثار للعبادة القديمة الوثنية للبربر (Gabus ,1958,p195.)

ورغم تعدد الصناعات الجلدية لدي طوارق الهقار لكنها إتخذت ببلاد السودان أكثر تطورا ويشترى الهقاريون خاصة الأيموهاج وبعض الأسر الغنية هذه السروج كالراحلة وباقي الصنائع وغيرها في واحة الأير بالأسعار عن طريق التبادل الملح والجبين بقطع قماش الشقة الذراع وتسمى الكودي.

- **الراحلة:** وهي سروج رفيعة وأيضا أطقم من الزمام خزامة ومن الجبيرة؛

- **القراب:** تشتري بقطعة قماش ذات مقاس من 10 إلى 40 مقطع كودي؛

- **الوسادة:** بقطعة قماش ذات مقاس من 5 إلى 10 كودي؛

- **المزود:** بقطعة قماش ذات مقاس من 5 إلى 10 كودي. (بوعزيز، 1984: 135)

13- مقتنيات متحف البارديو: يقع المتحف في أحد فيلا بوسط الجزائر العاصمة وأسس المتحف نتيجة لأحتفالية مئوية إحتلال الجزائر نظم مؤتمر أثرى من طرف السيد لموان مستشار الحكومة الذي مثل السيد الحاكم العام بتواجد السيد قرزال عضو في المعهد والسيد غوستاف مريسي مفوض عام للعيد المئوي وأعضاء المؤتمر والموظفين الساميين للحكومة العامة كانت لجنة الأحتفال المئوي قد خصصت له إحدى الفيلات العربية الإسلامية العثمانية

ولقد وضع الباحث ريغاس مجموعة أثرية بعد إجرائه لحفريات في الصحراء ثم جاء بالو أضاف قاعة لما قبل التاريخ وقاعة الأنتوغرافيا(سعد الله، 1998: 412) ،وهذه القاعة تحتوي على قطع متنوعة من الجلد من سروج من الطراز العالي ومحافظ تعود لأبنة الأمنوكال وتاريخ إقتناءها 1930 وتشكل مجموعة هائلة تتكون من 302 قطعة وشملت مختلف مظاهر الحياة الطارقية ما بين قراب لحفظ الماء والحليب ، تاسوفرا لحفظ الماء والزبدة، محافظ كبيرة وصغيرة ، حقائب متنوعة لحمل "الشاي ، أدوات السفر، أدوات صغيرة للسفر، والمهد للأطفال ، مخرز للخياطة ،محافظ للرجال لحفظ الأوراق والنقود ، مخدات دائرية مستطيلة ومربعة ،قميص وقطع من الجلد المدبوغ ، ونفاخة كير ،وشريط محشو باللؤلؤ حزام مزخرف خاص بالجمل، حزام عادي وآخر مطرز ، مقص ، سكاكين ، مخرز للخياطة ، لوحة خشبية قوارير العسل والزبدة ، عناصر زخرفية خاصة بالمحفظة ، إبر مثقبين معدني وخشبي، خيم جلدية، شفرة المكاشط ودلاء جلدية قميص جلدي، نعال جلدية ، علب جلدية ، تروس جلدية، ويمكن الأشادة بتنوع زخرفتها وأنها لا توجد بها كتابات ،وهي ترجع للقرن التاسع عشر، وقد أخترنا في بحثنا هذا قطعتين كنموذج للدراسة الميدانية وهي السرج وحقيبة السرج.

البطاقة رقم 01:

إسم القطعة: الجبيرة

المادة: جلد ماعز

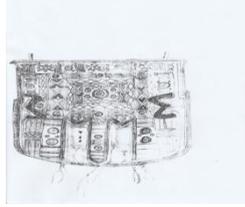
المقاسات : المقاسات : ط 77سم،ع62

الوظيفة :حقيبة رجالية لنقل الثياب

الوصف: حقيبة السرج ذات شكل مربع ويتكون من قطعتين الحقبية ذات شكل مربع وتتكون من قطعتين الأولى هي الجراب المزين بالصباغة ، مزينة بزخرفة مرسومة باللون الأسود على الجلد الأحمر أما الطية التي يتم قطعها وتطريزها بأنماط عادية ، فهي مطعمة أيضا بقطع جميلة من الجلد وأنماط وألوان تتداخل بغزارة حيث توجد أشكال هندسية مصنوعة من الجلد الملون، فتجد دوائر من الجلد ومثلثات وخطوط ، مزينة برفاقات خضراء وتعد تزئينا سمة مميزة بارزة للفن الطارقي ويتم صناعة مثل هاته الحقائب الجبيرة في منطقة أغاديز ، عند الطوارق النيجر وتشتري بأثمان غالية ولا يستعملها في الهقار إلا الأيموهاج والفرسان ويستعملونها في الأحتفالات للتفاخر بها وكذلك لأنها تعكس هيبة الماضي .



اللوحة رقم 2: خُرج وحقيبة السرج(الجبيرة).



الرسم التمثيلي للحقيبة مقاس الرسم 10/1 اسم
من عمل الطالب

الخاتمة: الأنتاج الجلدي للطوارق كان على نوعين مهن الأهالي ومهن الصناع المختصين وقد برع الأهالي في الدباغة وصناعة الأدوات بسيطة كالفرب والمزواد والحبال، ولم تتطور المهن الصناعية إلا بعد ساهم النظام الحربي ومرونته بإدخال جماعات حرفية من الأداغ وبعد إستقرارها شهدت الهقار تحسنا في مجمل أدواته والتي شملت الآلات الحربية الأدوات الجلدية ضمنمت بأنواع من الرموز المتنوعة الوظيفية ، ولقد تعلق النظام الاقتصادي في الهقار وإعتمد على هذه الأنشطة الحرفية في الصحراء كالدباغة وتأهيل الجلود الخام وتحويلها إلي منتوجات وأدوات كانت تستعمل في الرعي والزراعة ، ومن الجانب الاجتماعي تبين لنا أنه لم يزوال هذه الحرف الدباغية إلا فئات الدنيا من المجتمع ويظهر جليا معرفة الفئات الغنية من خلال السروج المزخرفة والمطرزة والتي إحتكرتها جماعات الأيموهاج، ويحوي متحف البارود مقتنيات جلدية جد هامة بقيت شاهدة على حضارة أقامها الطوارق ويجب تنمين التراث الطارقي المادي والتعريف في ظل تداعي وإضمحلال الكثير من العادات والتراث الطارقي ، وذلك بتشجيع الحرفيين والسياحة والمعارض.

الشروح والتعليقات:

التعليق رقم 1: إذا كانت الجلد مجففا في الشمس ينزل سعرا عن المجفف في الظل إن كان ممسوسا في المطر ينقص سعره وإذا كان شئ من الطفح الجلدي لأنه أقل نوعية من الجلود المستوية.

التعليق رقم 2: تذكر كتب التاريخ حادثة عقبة بن نافع مع كسيلة حين أمره بسلخ الشاة فاعتبرها إهانة ، وبأنه ليس من أعمال السادة ، وأخبره بأن هذا العمل يكفيه غلمانه عنه فأبى عقبة ذلك، للمزيد أنظر إبن خلدون ، كتاب المقدمة.

التعليق رقم 3: يرى الأنتربولوجي gabus أنها تتكون من مقاطع كلمات تيفيناغ « titar n ezera » التي تعنى اللباس الواقي ضد أى مكروه .

قائمة المراجع:

- 1- إبن سيده علي بن إسماعيل(1971)، المخصص ، تحقيق عبدالحمدي أحمد يوسف الهنداوي ، الجزء الرابع دار الكتب العلمية- بيروت لبنان.
- 2- التويجري محمد بن أحمد(2004)، طرائف وذكريات من قصص الأولين والآخرين، دار العاصمة، السعودية.
- 3- الثعالبي أبو منصور(2002)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبدالرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، بيروت -لبنان.
- 4-أركيبي صلاح الدين(2017)،"فئة المعلمين في المجتمع القبلي البيضاوي"، مجلة عمران العدد5/19 المغرب.
- 5- الدينوري أبي حنيفة أحمد بن داود (1974) ، تحقيق: برنهارد لفين ، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، مكتبة فرانز شتاينر بفيسبادن ،ألمانيا ، 1974.
- 6- السليمانى أحمد(2007)،تاريخ المدن الجزائرية، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 7- العربي إسماعيل(1982)، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.
- 8-القشاط محمد سعيد(1994)،صحراء العرب الكبرى، دار الملتقى للنشر والتوزيع ودار الرواد ، طرابلس-ليبيا.
- 9- بوشارب عبدالسلام (1995)، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، رويبة، الجزائر.

10-بوعزيز يحي(1994)، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الفرنسيون خلال القرن التاسع عشر ، كتاب طرق القوافل ودورها الحضاري حتى القرن التاسع عشر ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

11- تيلوين جرمين(2000)، الحريم وأبناء العم،، ترجمة عز الدين الخطابي وإدريس كثير، دار الساقى، بيروت - لبنان..

12- حسن محمد (1999)، المدينة والبادية في العهد الحفصي ، الجزء الأول ، كلية العلوم والاجتماعية، تونس.

13- الأدريسي عبدالله حمادي(1970)، سجماسة قاعدة المغرب قبل فاس ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان.

14- سعد الله أبو القاسم(1998)، تاريخ الجزائر الثقافي ، المجلد الثامن،دار الغرب الإسلامي ،بيروت -لبنان.

15- سعيدان الحاج التومي (2005) ، سكان تيديكلت القدماء والأكتال على النفس ، دار هومة ، الجزائر.

16-عزة عبدالخالق، الصناعات التقليدية في دولة مالي الحديثة ، مجلة الفنون الشعبية،العدادن 93/92، ديسمبر

2012، يناير 2013،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة ،مصر .

17- مارسيه جورج(1991)، بلاد المغرب وعلاقتها مع المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود

عبدالصمد هيكل، مطبعة الانتصار، مصر .

18-محمود (مصطفى)1977، مغامرة في الصحراء ،المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر،مصر .

19-Bernus(1994) , « the tuareg wanderere of the dezert » swisair gazette , n° 11.

20-Bissuelle(1988) ,les touareg de l'ouest , adolphe jourdan ,alger.

21-Foucauld,dictionnaire touareg –français dialecte de l'ahaggar ,tome iv, mdccccli .

22-Gabus,(1958), au sahara art et symboles , baconnier , neuchatel.

23-Gast,(1994), « Cuirs et peaux », revue encyclobedie berbere , volume n°14, Conseil – Danse, Aix-en-Provence, Edisud,.

24-Girconcourt, M. G. (de),1914, « L'art chez les Touareg », Revue d'ethnographie et de sociologie, 5,

25-Hinker(c),(2005), style touareg , iramam , paris ,IRAMAM .

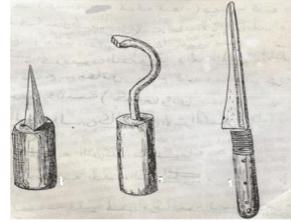
26-Killialn c ,(1934) « l'art des touareg », la ranaissance , n°711.

27-Mounier (1942), «le travail des peaux chez les touareg hoggar » , TRIS, Alger.

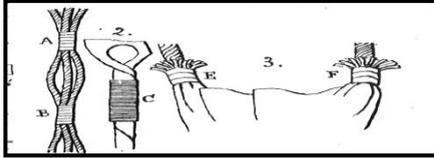
قائمة الأشكال:



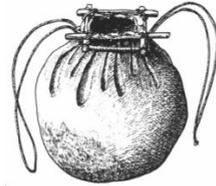
الشكل رقم 2: قربة الماء
Bernus tuareg wanderd dezert



الشكل رقم 1: آلات صانع الجلد نقلا عن
hugot ,cordonnier d oulef , p33



الشكل رقم 4: معالق مضمفورة من شرائط جلدية
لشد الأدوات الجلدية نقلا عن:
Foucauld,dictionnaire touareg –français
dialecte de l'ahaggar ,tome iv, mdccccli,p1633



الشكل رقم 3: وعاء السمن : نقلا عن :
lhote ,comment campent touareg,

الشكل رقم 5 :الرسوم المزينة على الأهداب الجلدية بطريقة الحفر نقلا
عن gabus

